
٣
الزمردة
همام وجؤذر
جمال شاهين

المكتبة الخاصة

همام وجؤذر

النشر الاول ١٩٩٥

النشر الاخير ٢٠١٨



خطبة جؤذر

حمدان فلاح يعيش في القرية ، وقنع بما أعطاه الله من رزق ، بستان مزروع فيه الأشجار المثمرة يقطفها ويبيعها في موسمها ، ويرضى بما يجني من ثمنها فيشتري مؤونة الشتاء ، ولديه بضع بقرات يعتني بهن ، فيطعمهن فيكسب منهن لبنا وجبنا وسمنا يكفيه ويفضل عن حاجته فيبيعه بدراهم معدودة ، هذه صورة للفلاح القروي حمدان ، رعاية بستان ، ورعاية أبقار وأغنام وطيور داجنة ، وحياته هادئة لا تعقيد فيها ، واندمج فيها وجدانيا وعقلانيا لا طموح له في العلا والثروة والجاه ، وله زوجة طيبة تشاركه هذه الحياة وتقاسمه العطاء ، وهي مثله قنعت ورضيت بهذه الحياة الهادئة ، وقد وهبهم الله أولادا كثرا ولم يعش منهم إلا همام ، وكان هذا الشاب يساعدهما في البستان والرعي، وأتقن أعمال أبيه ، وكان يذهب لبيع الثمار في سوق القرية ، وأحيانا أخرى في سوق المدينة ، وكان يشارك أقرانه رعي الأغنام في الشعاب والوديان والتحطيب من الغابات ؛ ولكنه تعلق مع بعض الشباب بحب صيد الوحوش والظباء في البراري لبيع جلودها وقرونها لأهل المدينة ، فكان الشباب الصيادون يخرجون في نصف كل شهر عند اكتمال البدر إلى الجبال والوديان والغابات يتصيدون الغزلان والسباع ويبعونها في المدن

القريبة من هذه القرية قرية " عمد العالية ".



ذات ليل بهيم كان الفلاح حمدان يجلس بجوار زوجته حليمة وهي تصنع الخبز في بيت الخبيز ، فقالت له : يا أبا همام ابنك كبر وأصبح عريسا ..ألا تفكر بتزويجه ؟

فرد عليها بعد أن مضغ لقمة من رغيف ساخن كان يلوكه قائلا : هذا شغلي الشاغل يا ابنة الأكارم ..هل تعرفين فتاة تليق بابنا همام ؟

ردت بعد أن نبذت قرصا من العجين المرقق في جوف الفرن : بنات القرية كثيرات ـ يا أبا همام ـ ولكني ...

فقال والخبز في فمه : ولكنك ماذا ؟!

قالت : ولكني أفضل أن نزوجه فتاة من بنات المدينة ..حتى لا يظل فقيرا مثلنا .. يوم بيوم .

رفع حمدان نبرة صوته قليلا وقال : حليمة يا بنت الاجواد ، هل هذه الحياة الطيبة الهادئة لا تعجبك ولا تريحك ..أتريدين الرحيل للمدينة ؟!

ردت محتجة فقالت : لا ..لا .. يا أبا همام الحياة هنا طيبة وهادئة وجيدة

بالنسبة لي ولك ؛ ولكن أقول ذلك من أجل همام فلذة كبدنا .. ألا ترى يا سيدي ما هو فيه من الخروج لصيد الوحوش ؟! وما يتعرضون له من المخاطر من أجل صيد سبع أو وعل ..أليس أخوك فريد غنيا وميسور الحال أكثر منا ؟ وعنده بنت جميلة وزكية فاخطبها لابنك همام حتى يكون حظه خيرا من حظنا .

أدار حمدان أفكار زوجته في دماغه برهة ثم قال : والله معك حق يا أم همام ، لعل هماما يرتاح من قسوة حياة الفلاح ، ومن الصيد الذي يغيب فيه أحيانا عنا أياما ، ومع ما فيه من الخطر عليه ،كم فتى سقط بين براثن وحش ؟! فهناك الغلطة يـفقد المرء على أثرها روحه ..حسنا يا أم همام .. جهزي هدية من الطيور واللبن والسمن لأخوي في المدينة فريد وحديد ونزور الأخ فريدا ونخطب ابنته لهمام ، ونزور أخي حديدا بنفس السفرة .. بس لا تكلمي همام بالغرض من زيارتنا للمدينة أخشى أن يرفض الأخ فريد فيكره همام عمه .. نذهب ونجس نبضه كما يقولون ، فإن رحب فريد بنا اطلعنا هماما على رغبتنا ، ولا أظنه يعصي أمرنا وما اخترناه له من الزواج من ابنة عمه جؤذر .

وأمضيا حديثهما في بيت الخبز في هذا الموضوع حتى أتمت حليمة خبز عجينها ، ثم دخلوا البيت ، وفي هذا الوقت جاء همام بالدواب وأدخلها

حظائرها ، وجلس ينتظر مائدة الطعام ، وبعد الأكل غادرهم وهو يخبرهم أنه خارج للصيد خلال أيام يسيرة مع بعض فتيان القرية ، وأخبرهما بقضاء فترة في مطاردة الوحوش قد تأخذ يومين أو أكثر ، فقال الوالد : أمرك مسهل بمشيئة الله .. واحرص على حياتك يا ولدي . ودعت له أمه بالتوفيق والعودة سالما ، ولما انصرف الشاب ، قال حمدان : عندما يخرج للصيد ننطلق نحن للمدينة ..جهزي الهدايا حتى نسافر ونرجع في غيبة الولد يا أم همام .

في صباح باكر انطلق همام الشاب مع أقران له في رحلة صيد تحتاج لقطع مسافات من الأميال ، ولما بزغت الشمس وارتفعت في الأفق كانت حليمة قد أعدت الهدايا التي ستحملها لأخوة زوجها ، فوضعها حمدان على ظهر الحمار ، وأوصى جيرانه على البيت ، وتحركوا نحو المدينة التي يسكن فيها اخوته ، وبعد ساعات من المسير كانا ينزلان ضيوفا في منزل حديد الذي رحب بهم أحسن ترحيب ، وصنع لهم طعام الغداء ، ثم كشف له حمدان سر هذه الزيارة ، وأنه قادم لخطبة ابنة أخيه فريد لولده همام ، فسكت حديد ولم يرد على أخيه ، فتابع حمدان الكلام : هل يا ترى يوافق أخي فريد على ولدي همام يا ابن أمي وأبي ؟!

بعد صمت رد قائلا : لست أدري يا حمدان ..فأخوك كما تعلم ترك

القرية منذ صغره.. وعمل في السوق حتى أصبح غنيا جدا ، وهو أحد أغنياء المدينة المعدودين..وهو يكره حياة الريف والقرى منذ أن طرده أبوه كما تذكر ..وتزوج في المدينة ابنة أحد الأثرياء ، ووهبه الله سبحانه بنتا واحدة وهي بنت مدينة ..هل تظن أنها ترضى بالحياة في القرية ؟ فهي بنت عز ودلال ، وإن رضيت هي فلن ترضى أمها..فالأفضل أن لا تحرج نـفسك يا أخي ..وانظر له زوجة قروية .

هزّ حمدان رأسه عدة مرات وقال : كلامك معقول يا أبا هارون ! ولكني صرت آتيا وليس بالضرورة أن يسكن همام معنا في القرية .

فضحك حديد وقال : ومن سيبقى عندك ؟ .. على كل حال افعل ما تشاء .

ثم ودعه حمدان وخرج ، ولما وصلا للباب ناداهما حديد وقال : انتظروا سنذهب معكما .. نزور فريدا أبا جؤذر .

وجهز حديد وزوجته نفسيهما لزيارة فريد ، وقد جهز لهما الخادم الـعربة التي يجرها البـغل ، وركبت زوجة حمدان معهما ، واعتلى حمدان ظهر الحمار الذي أتى به من القرية ، وساروا إلى قصر أخيهم فريد وعند العصر كانوا فيه ، فرحبت بهم أم جؤذر أحسن ترحيب ، وأرسلت الخادمة تستدعي زوجها من مكان عمله الذي جاء مرحبا بحمدان وزوجه

وحديد وزوجه ، وفي ظلال بعض الأشجار الكبيرة المنتشرة في حدائق القصر جلسوا يتحدثون ويأكلون الفواكه اللذيذة ويشربون مياه الفواكه المختلفة الألوان .

والذي دفع حديد إلى مصاحبة أخيه حمدان في زيارة أخيهم الثالث فريد هي زوجته ، فعندما كاشفتها أم همام بمشروع الزواج ، قالت لزوجها : أرأيت يا أبا هارون فأخوك قادم ليخطب ابنة فريد لولده ..كم مرة قلت لك كلم أخاك في الأمر ؟! ولكنك تماطل فهارون مناسب لها أكثر من همام الفلاح ، وأنت ثري وسوف يفضلك أخوك فريد على ابن أخيه الفقير الفلاح .

تردد حديد لأول الأمر ثم لان وصحب حمدان إلى قصر أخيه فريد ، وهناك استغل حديد ذهاب حمدان لداخل القصر للصلاة والوضوء وفاتح أخاه برغبة هارون بابنة عمه جؤذر فسكت فريد قليلا ثم همس : نتكلم في ذلك فيما بعد .



ولما جاء حمدان للمجلس من جديد ، وقام فريد بالترحيب به من جديد والسؤال عن القرية والفلاحين ، كشف له حمدان الغاية من الزيارة ، فدقق فريد النظر في عيني حديد وهز رأسه عدة مرات ؛كأنه يتعجب من المصادفة ، ولما أنهى حمدان توضيح رغبته في مصاهرة أخيه أجابه فريد بهدوء قائلا : تريث أسبوعا لأفكر في الأمر وأسمع رأي أم جؤذر وجؤذر .

فأخذ حمدان بالثناء على أخيه وقال: بعد عشرة أيام أمر عليك لأسمع القول الفصل .

رد فريد : كما تشاء وأرجو أن توافق الفتاة فهمام كما هو ابنك فهو ابني .

ومكث حمدان وزوجه لقبيل الغروب بقليل ، ثم ودع أخويه وقفل عائدا للقرية رغم إصرار فريد على مبيته ، فبين له عذره وغيابه ، وأن هماما قد خرج للصيد ولا يعلمون متى يعود .

وبعد مغادرة حديد بيت أخيه قال فريد لزوجته : هل علمت لماذا حضر إلينا هؤلاء الناس اليوم ؟!

رسمت الزوجة ابتسامة على وجهها وقالت : نعم ، أم هارون خطبت لهارون وأم همام خطبت لهمام ، وكل واحدة تثني على ولدها ، وأنه خير البشر ، وأكمل الناس .. والغريب أن أم همام لا تدري أن أم هارون

خطبت لولدها .

ضحك فريد قليلا ثم همس : قروية فلاحة ساذجة .. نعم ، يا أم جؤذر كل من أخوي يرغب بخطبة ابنتي لابنه .. حمدان مر على بيت حديد وحدثه بالأمر ؛ فكأنه كان مترددا فهو يعرف أخلاق ابنه جيدا ، فقد تكون أم هارون ضغطت عليه ، فتحمس وتشجع عندما رأى حمدان الفقير يخاطر بهذا الأمر ويحرج نفسه ..حمدان لا يعلم أن حديدا جاء خاطبا مثله ..والآن ما العمل يا أم جؤذر ؟ كيف نتخلص منهما ؟.. هل علمت جؤذر بشيء ؟

قالت الزوجة : أدركت من الحديث بيننا أننا نتحدث عنها ثم تركتنا ..ولما انصرفوا قلت لها الحكاية .. فهي تعلم .

فقال بصوته الناعم : وما كان ردها على ذلك ؟

قالت أم جؤذر باسمة : أخذت بالضحك ، وتركت حل القضية لنا ، ثم قالت معقبة بعد ذلك " إنها لم تر هماما منذ أكثر من خمس سنوات .. فلا تذكر صورته وشكله ، ثم قالت : منذ أن كبر وشب لم يعد يحضر مع والديه لزيارتنا ما الذي ذكره فينا ؟! .. وقالت عن هارون ..إنها قد لاحظت ميله نحوها ، وحياؤه منها عندما كانا يلتقيان في الزيارات والمناسبات ، فهذا ما علقت به جؤذر يا فريد .

غرق فريد برهة في صمت عميق ثم قال : الحق يا رهام ..الأمر محير .. والرفض قد يكون أسهل الحلول ، ومع ذلك نحتاج إلى حسن التصرف ، فحمدان سوف يغضب ، وقد نخسر بعضنا ..فنحتاج إلى حسن التصرف معه فهو أخي الأكبر ، وكان يودني من أيام الصبا ، ووقف معي عندما طردني أبي العزيز .. أما الأخ الأوسط حديد فإن رفضناه سيسخط علينا هو الآخر ، وسيكون سخطه علينا أشد من سخط حمدان ، فهو يجاورنا في المدينة ، وسيبدأ يتكلم علينا ، ويثير الأقوال السيئة عنا.. لذلك دعيني أفكر بالوضع جيدا يا أم جؤذر وكيف الخلاص منهم ؟



ردت الزوجة بابتسام : أفهم من كلامك أنك رافض للفريقين .

فأجاب مشيرا برأسه "نعم" ثم نطق بهدوء : فهمام ليس كفئا لها ، فهو فتى معدم فقير لا ثروة ولا عمل نظيف ..وأما هارون فهو شاب جاهل لا يحسن إدارة نفسه ..أريد أن أفكر بطريقة حسنة للخلاص من هذه القضية وبدون أن أقطع صلتي بهم .

وخلا فريد بنفسه يفكر في هذا الموضوع الدقيق ، ثم خرج من البيت ، وذهب لزيارة أحد أصدقائه ، ومكث عنده لنصف الليل ، ثم عاد للمبيت ؛ ولكن النوم قد فارق عينيه لانشغاله في زواج جؤذر ، وفي مساء اليوم التالي زاره صديقه الذي كان عنده ليلة أمس ، وأطلعه فريد على موقفه واستعان به لحل هذه المعضلة ، فجاءه هذا المساء مع أهله وأحد أبنائه ، ولما استـقر بهم المقام والكلام قال له الصديق : يا فريد لـقد جئتك بحل الإشكال الذي أنت فيه .

فقال فريد بكل لهفة : ما هو ؟!

فنظر الصديق لولده وقال : هذا منذر ولدي ! ..فأنا أطلب يد ابنتك جؤذر له ..فنحن أصدقاء وأثرياء ، ومنذر مـعجب بها وراغب بالاقتران بها .



مـقتل السبع

خرجت جؤذر برفقة صويحباتها في نزهة إلى البراري والأدغال المحيطة بالمدينة ؛ وعادة تصحب كل فتاة خادما لها أو خادمة ، فهن من بنات الأسر الغنية في المدينة ، ولما وصلنا البرية ونزلن من العربات التي تجرها الخيول الضخمة القوية ، فأخذن باللعب والركض هنا وهناك وهنّ في غاية الـفرح والمرح ، ثم ركضن نحو الغابة يطاردن بعضهن بعضا ، وقد توغلن في مطاردة الطيور والحيوانات الصغيرة كالعصافير الملونة والسناجب والأرانب البرية ، وما انتبهن لأنفسهن إلا وهن في وسط الغابة ، فتوقفن عن المطاردة واللعب واللهو ، وجلسن على الأرض يسترحن للعودة حيث تركن الخدم والعربات ، وما كدن يلقين بأنفسهن على الحشائش اليابسة ويستند بعضهن على سيقان الأشجار الضخمة ويلتقطن أنفاسهن من كثرة الركض والتعب ، ظهر أسد بالقرب منهن وزأر فجأة وزمجر زمجرة حادة ؛ كأنه مظهر فرحه بهذا الصيد ، وكن خمس حسناوات فدب في قلوبهن الوهن والرعب ، وأيقن بالهلاك والموت ..وزحف الأسد الهائج نحوهن وهن في غاية الخوف ؛ بل قد تيبست أبدانهن فلا حراك ، وعلا وجوههن الاصفرار ..ازداد اقتراب الأسد المتحفز نحوهن ؛ وكأنه يفكر بمن يبدأ .. ؛ ولكن ظهر أيضا في المكان

شاب قوي العضل مكشوف العضلات منـفوش الشعر يرتدي على صدره درعا من الجلد ، وبدأ الشاب مسددا قوسه نحو الأسد.. شاهده الأسد فاستدار نحوه ، فرماه الشاب بسهم وقع بين عينيه ، فاشتد السبع غضبا ، وهجم على الشاب بجنون ؛ فإذا بسهم آخر يخر في جسده فوقع على الأرض.. فهجم عليه الشاب الشجاع وطعنه بمدية ، فزار الأسد زأرة الموت وهمدت أنفاسه ..وبدأت أعصاب الشاب تعود إليه بعد هذه المعركة رويدا رويدا .. وقد خيم السكون على المكان ..ثم قام الشاب بقطع رأس الأسد ، ثم نظر حوله فرأى الفتيات ؛ كأنهن موتى من الخوف والرعب ، وقد انتبه إليهنّ ، فهمس بصوت مبحوح : لقد مات ! .. لقد صرعته إنني أطارده منذ ساعات .

ثم رفعه على شجرة ، وأخذ في فصل جلده عن لحمه ، وابتسم للصبايا قائلا : إنها مهنتي .. صيد الوحوش وبيع جلدها لأهل المدينة .. وسأل باستغراب : ما الذي أتى بكن إلى هذه الأدغال المرعبة ؟!

فسمع إحداهن تتسأل : هل حقا مات الوحش ؟!

فضحك الشاب وقال : ألا ترين ما أفعل ؟!..اصبرن قليلا عندما انتهي منه سوف أوصلكن إلى مأمن .

كانت الفتيات ينظرن للشاب بمنتهى الدهشة والإعجاب والخوف

والرعب ؛ كأنهن ينظرن لجزار يسلخ شاة أو بقرة ، ولما قضى حاجته أخرج كيسا ووضع فيه الجلد ورأس الأسد ، وقال : لـقد انتهيت ..من أين جئتن أيتها الفتيات الطيبات ؟

فقالت إحداهن : نحن من مدينة النهر .

فقال الشاب : مدينة النهر ! .. أعرفها لي أقارب فيها ..لي قريب ثري ومعروف في المدينة .

فقالت فتاة منهن : نحن من بنات الأغنياء في المدينة فمن هو قريبك ما اسمه ؟

فرسم ابتسامة على محياه وقال : الحقيقة أن لي عمّين في مدينة النهر أحدهما يدعى الـعم حديدا والآخر فريدا .. وهو تاجر كبير كما يقول أبي .

أخذت الفتيات ينظرن إلى جؤذر التي أصابها الذهول والتي ردت على نظراتهن وقالت : أيها الفتى .. لـعلك همام بن حمدان ؟

فرد وهو مستغرب لمعرفتها لاسمه ، وكذلك الفتيات لحقت بهن الحيرة ، ثم قال همام :أأنت جؤذر .. ابنة عمي فريد ؟!

هزت رأسها قائلة : نعم .

فقال همام : مرحبا بابنة عمي ما الذي أتى بك لعرين الأسد ؟! ..أنا همام

ابن عمك حمدان يا جؤذر .

فهمست : مرحبا بك يا همام إنك قوي جدا .

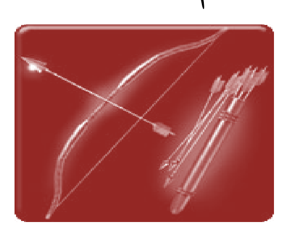
فضحك همام وقال : الحمد لله على سلامتكن .

وعندئذ ظهرت مجموعة من الشباب ، فروى لهم همام الحكاية وأشار إلى ابنة عمه وقال : هذه الفتاة ابنة عمي فريد ..لابد أنكم تسمعون به ..هيا نوصلهن المدينة قبل حلول الليل .

وقاد الشباب الفتيات حيث العربات والخدم ثم ودعوهنّ ، وقال همام لجؤذر : إن كنت بحاجة لي يا ابنة العم يمكنني توصيلك لقصر والدك .

شكرته وأثنت عليه وانصرفت مع صويحابتها جهة المدينة ، وكل حديثهن عن الأسد وشجاعة همام ، وهذه الحياة الخطرة التي يعيشها من أجل الحصول على جلد أسد أو نمر أو فهد لبيعه ببضعة دراهم ، وما كادت جؤذر تدخل البيت حتى روت ما حدث معها لأمها وهي مبهورة من قوة همام وثباته وصرعه لسيد الغابة ، ولم تصدق الأم هذه الحكاية بأن هماما قتل الأسد ، ولولا تكرارها من الفتيات الخمس وكلهن يتحدثن بإعجاب وانبهار عن الشاب همام الذي أنقذهن من براثن الأسد ، ولما أكلن الطعام انصرفت الصديقات لبيوتهن ، ولما رجع والد جؤذر حدثته عن قوة وشجاعة ابن أخيه همام ، وكيف واجه الأسد وحده ؟

وكيف أنقذهن من موت محقق ؟ وفي النهاية سمعها تقول بصراحة : يا أبت زوجني من ابن أخيك همام ..لا أريد منذرا ولا هارون .



فغضب الأب وقال بغضب وحدة : ويحك ماذا تقولين ؟! لقد وافقت على الرجل ، واعتذرت لعميك وقبلا عذري..وهذه التأثير الذي تركه ابن عمك عليك سيزول ..فهو رجل لا مال عنده ولا أحلام ولا طموح ..فرجل يعرض حياته للهلاك من أجل جلد حيوان يبيعه ببضع دراهم لا تغني عنه شيئا ، فهو رجل أحمق غبي ! ..أتتركين النعيم والفراش الوثير لتحي في قرية مليئة بالبراغيث والفئران ؟..أتدعين حياة اللذة والراحة لحياة الجوع والعطش والبرد ؟؟ .. اصبري بضعة أيام وسيذهب أثر ما شاهدت من شدة بأس وقوة الفتى .

ولما سكت الأب مما تفوه به قالت الفتاة : يا أبت لقد أنـقذنا من الموت .. أعاد لنا الحياة ..ألا أهبه هذه الحياة ؟! ..وهو ابن أخيك ..من لحمك ودمك .. وهل نحن بحاجة للمزيد من الأموال ؟!

قال الأب بأسف : يا جؤذر الجميلة العاقلة ..يا ابنتي .. لو رضينا بهمام .. سيغضب هارون وأبوه .

فصاحت قائلة : فليغضب ، وما دخلي في غضبه ..وهل الزواج بالغصب والقوة ؟!

رد فريد : سيكره بعضنا بعضا ، سيكرهنا حديد ويكره حمدان بسبب ذلك .. فكري أياما بالأمر تروي ثم ردي عليّ .. فأنا قبلت بابن صديقي حتى أبقى على علاقة جيدة مع أخواي .

قالت الفتاة بصراحة : يا أبت فإن زواجي من ابن عمي همام سيصلح بينك وبين أخيك حمدان تكسب واحدا وتخسر واحدا خير من تخسر الاثنين ..وعمي هارون زوجته هي التي تضغط عليه ليزوجني من ابنه .. مع اهتمام هارون بي فإنني أحس أنه لا يحبني ، هو يحب ثروتنا .. وهمام شاب فقير وفلاح فهو الذي يستحق منك العطف والمساعدة.. وأنا مستعدة للعيش معه في فقره وحياته القاسية .

كان الأبوان يسمعان كلام ابنتهما وهما بين الغضب والاستغراب ، فرد الأب : جؤذر العزيزة وحيدة والديها ، الفتاة المدللة ، ابنة العز والجاه والخدم والحشم تعيش في قرية ميتة يكاد أهلها يتضورون جوعا وعطشا عندما يقل ماء السماء ..فإن أشفقت على ابن أخي فأنا أعطيه من المال ما يشاء من أجل خاطرك أما زواج فلا وألف لا .

ردت بغضب :اسمع يا أبت .. أنا لن أتزوج الا من همام ، أما غيره فلا

.. أو لا أتزوج أحدا من أهل الدنيا ..هذا تفكيري وجوابي .

تدخلت الأم بينهما وحاولت التوفيق بينهما ، وطال الحوار لمنتصف الليل ، وكلٌ مصر على رأيه واختياره ، فجؤذر ما زالت مصممة على اختيارها ومبهورة بشجاعة همام التي رأتها بأم عينيها في الغابة عندما هجم عليهنّ الأسد الهائج ، فاتفق الوالدان على انظارها عددا من الأيام حتى يذهب عن نفسها تأثير الحادث الذي مر بها ، فقد تـعدل عن عزمها ، اعتكفت الفتاة في حجرتها ، وامتنعت عن الأكل مما أقلق الأسرة ، وترجياها أن تعود لسابق عهدها ، وتخرج للجلوس في حدائق القصر والجلوس مع صاحبتاها ؛ ولكنها أصرت على العناد ، وحلفت برب العباد أن لا تـتزوج إلا من ابن عمها همام أو تموت ، فكان الولدان يذكران فقره وجوعه وحياته البائسة في مطاردة الوحوش ، وأنه هو السبب في وصول الأسد نحوهن ، ولو لم يطارده فما جاء جهتهن ، وتقول الفتاة ولو رأيتموه وهو ثابت الجنان يصوب سهمه نحو الأسد لـعرفتم ما هي الشجاعة والإقدام التي نـقرأ عنها في الكتب ، ويتغنى بها الرواة والشعار ولغيرتم رأيكم فيه .

فاشتد الأب غضبا ، فلم تكترث لغضبه وهي تهتف : إذا كنت حقا تحب سعادتي عليك أن توافق على ابن أخيك ..أخوك حمدان الذي

أعطاك كل ما يملك عندما هربت من الـقرية لما غضب عليك والدك ألم تـقل لنا ذلك ؟!

وحاولت الأم ثني الفتاة ؛ ولكنها لم تسمع منها وأغلقت أذنيها ، وهزلت جؤذر وبدأت تذبل ، فضعف الأب أمام عنادها الغريب الذي لم يعتده منها ، فقال لها: ما أقسى رأسك ! يا ابنتي ولكنك ابنة أبيك .. وأنا مثلك عنيد ، فكم توسط بيني وبين أبي من الأهل والأقارب لأتصالح مع أبي ؛ ولكني رفضت الصلح والعودة إلى القرية ؟ ومات أبي وهو عليّ غاضب ، وكم أرسل لي أن أعود ليراني وهو على فراش الموت ؟ ورفضت ، ها أنت تدمري قسوة قلبي على القرية التي هجرتها منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة .. يا جؤذر لا أريد أن أراك ميتة قبلي ، فعودي للأكل سأوافق على همام ؛ ولكن كيف أحدثه بالأمر وأنا قد رفضته ؟

قالت الفتاة بتأنٍ : أنا أذهب إليه إلى عمي وسيأتيك مرة أخرى

قال بحسرة : إنك تـقتلينني يا جؤذر .

أجابت : أأقتلك ؟! لأنني أريد الزواج من هذا الشجاع الذي لو علم الحاكم الكبير بشجاعته لجعله فارسا من فرسانه ؟! أأقتلك وأنت تريد أن تزوجني من شاب سيئ الخلق ؟! ...ألا تريد قتلي بهذا الزواج ؟! .. ألم تحدثنا أنت عن مجونه ولهوه ؟ ألم تـقل لي نوافق اليوم وبعد فترة نعتذر

، ونكون قد تخلصنا من الثلاثة ؟ ..أنت تعرف أنني لا أعرف ابن عمي همام ، وعندما كان يأتي قديما مع والده لزيارتك لا أجلس معكم ، ربما لمحته وهو داخل أو خارج ؛ ولكني كنت أنظر إليهم ؛ كأنهم قادمون للتسول من عندنا أو كالرجال الذين يأتون ليعملوا بعض الأعمال وينصرفوا ، أنت قد جعلتنا ننظر إليهم هذه النظرة الجارحة ، مع أن عمي يأتيك بالسمن والجبن والفواكه كلما يزورك ، وأنت بعد انصرافه تلقيها في القمامة ؛ لأنها من القرية التي رفضتك ، ولولا هذا الرفض لم تصبح ميسورا .. وكان عمي يعلم أنك تقبل هديته على مضض ، وظل مصرا على المجيء بها كلما زارنا ، ومن عزة نفسه لم يقبل أن يأخذ منك درهما واحدا أو يقبل أي مساعدة .. وكنت رافضة الزواج من همام للنفور الذي زرعته فيّ من الفلاحين والرعاة ؛ ولكن الله قدر لي أن أراه في ساعة الموت أو ساعة أوشكت أن أكون فيها ضحية لسيد الوحوش ، فرأيت هماما وملئت شجاعته وجرأته نفسي وكياني ، فأعجبت به أو ليس من الزواج بد فاقبله كما قبلته أنا ؟

رضخ فريد لإرادة ابنته ، وهو يكظم غيظه وسخطه على ابن أخيه الذي خرج له في دنياه فجأة ورغم أنفه ، وطلب منها أن تتصرف في الخطب كما يحلو لها .

لما أخذت جؤذر موافقة والدها على الزواج من همام استدعت الخادم الذي رافقها إلى الغابة يوم الحادث المرعب ، وذكرت له هماما ، فتذكره فأمرته بالمسير إلى قرية " عمد العالية " ويلتقي بهمام من وراء أهله ، ويخبره برغبة جؤذر في رؤيته والحديث معه ، فانطلق الخادم على سرج جواد إلى القرية المذكورة فسأل عن همام ، فقيل لها إنه مع الرعيان ، فانطلق إلى مراعي القرية ، وبعد جهد يسير أسر له بطلب جؤذر ، وقـفل الخادم عائدا للمدينة مخبرا سيدته بتنفيذ الأمر ، فأثنت عليه وصرفته ، ومع صباح النهار الجديد كان همام يطرق باب قصر عمه فريد وقابل امرأة عمه ، وحياها بأحسن تحية ، وفعلت مثله ، وأثنت على شجاعته وفـتوته ، ولما حضرت الفتاة انصرفت الأم ، فبعد ترحيب خرجا للجلوس في حديقة من حدائق القصر ، وهناك حدثته عن مجيء والده وخطبتها له ، وروت له القصة من يوم مجيء والده وعمه حديد ، وظهرت الدهشة على وجهه ، وأعلمها أنه لا علم له بموضوع الزواج والخطبة ، ولم يحدثه والده بشيء من ذلك ، وأقـسم يمينا على جهله لتخطيط الأسرة ، فدهشت الفتاة وقالت بفطنة : لابد أنهما كانا يتوقعان رفض أبي فأحبوا أن لا يجعلوا في قلبك شيئا على عمك ..ثم تكلمت

عن طلب منذر ابن صاحب والدها يدها ، فبارك لها همام ذلك ؛ ولكنها استدركت وبينت له أنها رفضته وأنها ترغب به ، فوقف همام مبهوتا أمام صراحتها وبعد أن تمالك نفسه وأعصابه قال : ولكني يا ابنة العم لا أستطيع إسعادك..فنحن قوم فقراء أو قولي ميسوري الحال .. ليس لدينا قصور ولا عربات ..وأنا فتى مغمور ..أرعى الغنم وأحرث الأرض



وأقطف الثمار وأصيد الوحوش ، وأحيانا أخرى أحلب الشياه أو البقرات..فما ندخره في الصيف نأكله في الشتاء ..لا مال ولا أحلام فأنا فلاح ابن فلاح..وأنت يا جؤذر ابنة المال والغنى والجاه والخيول والخدم والجاريات والنزهات..كيف ستعيشين في قرية ؟ المرأة فيها تعمل في الحلب والطحن والعجن والزرع والخبز ، فحياة القرية رغم بساطتها وجمالها فهي قاسية مرهقة متعبة تحتاج لصبر وكفاح يا ابنة العم ، وأنت شاهدت فصلا من حياتنا نحن القرويين ، فقد رأيتني كيف أطارد الوحوش من أجل جلدها وقرونها ؟! وقد يأتي يوم ويفترسني وحش

كما سقط أصحاب لنا ..لا قوة دائمة إلا قوة الله .. ومن تعلق بشيء ليس من اليسير تركه .

قالت بعاطفة جياشة : تترك القرية ..وتعيش معنا فأنا وحيدة أبي .. وكما يقول والدي إن هذه الأملاك في النهاية ستؤول لي ..وأنت خير من يشاركني فيها..أنت أنـقذتنا من الموت منحتنا حياة جديدة يا همام .

قال بهدوء : كيف يكون ذلك ؟! أأترك أمي وأبي ؟! ..هل يرضيان بترك الحياة التي أحباها منذ أن تفتحت عيونهما على الحياة ؟ وكيف يطيب العيش بدونهما ولا ابن لهما سواي كما تعلمين ؟! لقد أنجبوا الكثير ولكنهم ماتوا صغارا .



قالت : عندما تقدما لخطبتي ـ ولو وافق أبي على ذلك ـ فهل كانا يظنان أن والدي سيسمح لهما بأخذي إلى القرية ؟ ..لابد أنهما كانا يفكران بسكنك في المدينة ..آه يا همام ! لو تعلم كم بذلت من الجهد ليقنع أبي

بك ؛ لأني اخترتك على الآخرين ..كن معي أيها العزيز.. لا أريد منذرا ذاك رجل خليع مستهتر ..أنقذ ابنة عمك منه كما أنقذتها من أنياب السبع .

لم يكن الشاب يفكر أو يحلم يوما بالزواج من بنات المدينة ، إنه قروي ابن قروي ، نبت وشب على حياة القرية والكفاف، وإنه وحيد والديه فعليه مسؤوليات كبيرة نحوهما في شيخوختهما ، ووالدها لا يرغب به بـعلا لـقرة عينيه ووحيدته ؛ وإنما رضخ لها مرغما ؛ لأنها وحيدته ، فقال لها : أود إنقاذك يا ابنة العم ..ولكنك ستخسرين الحياة الناعمة يا جؤذر من أجلي .. هناك الحياة متعبة شغل عمل حطب حرث حلب خدمة .. لا تتعجلي في اختيارك لا أحب أن أراك نادمة باكية متأففة من حياة التـقشف .

قالت : وكيف ذلك ؟! وهذه الأموال التي نملكها يا همام..أبني قصرا عندكم ..أليست قريتنا ؟ أليست مسقط رأس أبي ؟! ..ننـقل حياة المدينة للقرية .. نشتري أراضي ..والغلمان والخدم ..نعيش سعداء ..أنتم تعملون بأيديكم لقلة المال بين أيديكم ..ولأنكم لا تستطيعون اقتناء الرقيق ..همام إن لم تقبل بي سأحيا تعيسة ، سأفقد روح الحياة ، إنك تدفعني لليأس..ألا تريد تحقيق رغبة والديك بالزواج من ابنة عمك ؟!

قال أمام هذا الاستـعطاف الغريب منها : ولكنّ أباك لا يريدني ، وقد وافق مكرها .. وابن عمي هارون له رغبة فيك ..فأرى أنّ اختيار والدك لابن صديقه خير لنا ، وإخراج لنا من هذه الورطة ..أنت في العلا ونحن في الدنا ، أنت طيبة وكريمة بل شجاعة ، وقد تركت حادثة الغابة أثرها على روحك الطيبة ، ولكن هذا أفعله مع كل الناس ، ولا أنتظر منهم مكافأة .. أتريدين مكافئتي ؟ ..أشكرك من أعماق قلبي ، وصدقيني لن أنسى هذه التضحية الكبيرة التي تـقدمينها من أجلي ، سأذكرك في أحلامي وواقعي .. لا أدري كيف فكر أبي بطلبك لي ؟! .. فهل نسي البون الواسع بيننا ؟

فقالت بإصرار على فكرتها : أنا لا أكافئك على معروفك وشجاعتك .. سأقابل عمي حمدان لعله يقنعك بي أما لأطفالك غدا .

ضحك همام ضحكة قصيرة وقال : والله خالق كل الأشياء ، أنا مقتنع بك ، وأتمنى من أعماق قلبي أن أتزوجك ولكن ..ولكن

قطعت استدراكه قائلا : دعك من لكن .. وفكر في الأمر على مهلك، وشاور والديك ، وعد لي بعد أيام .. لا ..لا ؛ بل سأرسل الخادم إليك .

وأحضر الخدم طعام الغذاء ، وحضر عمه فريد المائدة ، ورحب بابن أخيه ، ولم يتحدثوا في موضوع الزواج أو حادث الغابة ، ولما انتهى همام

من الأكل انصرف عائدا للقرية على قدميه ، فوصلها قبل الـغروب بقليل ، وكله أفكار وأحلام وآمال ، وعاتب والديه على عدم ذكرهما له طلبهما ليد جؤذر ، وقص عليهما الحديث ، ففرحا بعد غضب أشد الـفرح ، وقد دهشا لحزن همام وحيرته ، وأخذت الأم تتوسل إليه بالقبول ، ومن شدة فرحها طلبت منه أن يسكن المدينة ، وأيد الوالد كلامها ، فرد همام : إني أعجب منكما..هل أتخلى عنكما ؟!.. هل يعقل هذا يا ناس ؟! سأعيش لكما وبينكما ولن يفرق بيننا الا الموت..أنا لا أريد ثروة عمي .. إنني سعيد في قريتي..أنتم تخافون عليّ من الافتراس .. لن يعدو الإنسان قدره ..فالموت حق .. كم من الناس يموتون في حقولهم ومنازلهم ؟! وكم يموت منهم في الغابات ؟كل يموت بأجله .

قالت الأم : نحن اخترنا تلك الفتاة ؛ لأننا نحب سعادتك ، ولا نريد أن تقضي عمرك في الشقاء .. نحن نريد لك السعادة ، فمن جاور السعداء سعد ، وجؤذر قريبة لك ، ومن كلامك معنا فهي تريدك واختارتك على ابن عمك هارون ..وها هي الأقدار تريد ذلك ، وأصبح لك عليهم جميل لا يمكن نكرانه يا ابني يا همام ..

قال الأب : أنت أنـقذت البنات من أذى الأسد من غير أن تنتظر جزاء .. ونحن خطبنا لك قبل حادثة الغابة ..وأنا قبلت اعتذار أخي ونسينا

الأمر ؛ ولكن ابنة عمك راغبة فيك .

قال همام : صحيح أنني أنـقذتها ، ولم أكن أنتظر أجرا من أحد ..ومن يصنع المعروف لا يطمع في مكافأة أو جائزة .

فقالت الأم : حق ما تقول يا ولدي ..ولكن كثيرا من الناس يكافئون عن المعروف طواعية ورضا ..ونحن لما اعتذر لنا عمك نسينا الأمر كما قال والدك ، واعتبرنا أن شيئا لم يكن .. ولكن ابنة عمك هي التي تطلب يدك ، هي التي تريد منك أن تنقذها من ذاك الشاب الفاسد ، ألا تريد إنقاذها من أسد دائم كما خلصتها من سبع عارض ؟

قال همام بعد تأمل : أماه إنك تتكلمين بقوة وحماس ..أخشى أن تأخذني من حضنكم من الدفء الذي نعيش فيه ..أخشى أن يزول الانبهار عن عينيها فتستيقظ فتجدني فقيرا بائسا.. فهي فتاة تربت على العز والدلال والخدم والأمر والزجر.. أماه ابحثوا لي عن زوجة من ثوبنا من قريتنا تعرف عاداتنا وتقاليدنا وأحلامنا الصغيرة وأعمالنا الشاقة .. فتاة لا تكلمني من ثروة أبيها وجاهه .



قالت الأم القروية : آه يا ولدي ! دع الأمر لله يفعل ما تشاء.

جؤذر تهدد



أتت جؤذر القرية بنفسها على عربة يجرها حصانان وأخذت معها الهدايا الثمينة لعمها حمدان وزوجته ولفقراء القرية والأطفال ، فتعجب الفلاحون من كرمها وسخائها ، وتناولت الطعام مع أسرة عمها ، أكلت من طعام امرأة عمها وفرح حمدان بمقابلتها ، وسر سرورا عظيما وفرحا لا يوصف ، فمنذ خرج فريد من القرية لم يعد إليها ، وها هي ابنته الوحيدة تعود إليها ، وهذه أول مرة تدخل فيها القرية ، وتجلب معها الخيرات والهبات ، وتحسن للفقراء والمحتاجين ، والإنسان عبد للإحسان ، وتمنى من أعماق قلبه أن تكون من قدر ونصيب فلذة كبده همام ، وتألمت جؤذر لعدم مشاهدتها هماما ، فقد أخبروها أنه خرج مع شباب القرية للصيد كما اعتاد ؛ ولكن حليمة طمأنت قلبها بأن لدى همام رغبة بالاقتران بها ، فعاد الفرح والغبطة والحبور لكيانها ، وحثتها على الصبر وعندما يعود الشاب من الصيد سيأتيها بنفسه ، سرت الفتاة من كلمات حليمة ، ولما أعصرت الدنيا ،

ودعت عمها وأهل القرية الذين تجمهروا أمام منزل حمدان لوداعها ، فأمرت الخادم أن يوزع كل ما بقي في الصندوق من مال ، وشيعها الناس لخارج حدود البلدة ؛ كأنها ملك هبط عليهم من السماء ، ووعدتهم بالمزيد من الطيبات والاعطيات .

وقالت حليمة لزوجها حمدان : إنها فتاة طيبة يا حمدان ؛ كأنها أميرة من الأميرات التي تتحدث عنهن الحكايات ، انظر كما أثرت فيها حادثة الغابة ، عندما كنا في بيتهم سلمت علينا ببضع كلمات ، ولم نرها بعد ذلك .. فها هو الحادث يعيدها للصواب والتواضع والأكل من تحت يديّ أنا ؛ بل تزور القرية .. ها هم الفقراء يسرون بها ويفرحون لإحسانها .

فقال الكهل حمدان : ليت هماما يتزوجها .

وبينما هم في الأماني والأحلام أقبل نحو البيت رجال لهم ضجة مرتفعة وصياح ، وقال أحدهم : افتح يا حمدان ..افتح بابك .. همام جريح مصاب !

وولولت حليمة وملأ صراخها القرية ، وأسرع حمدان بفتح الأبواب وهو يتمتم : ولدي ولدي ولدي !!

فدخل الشباب يحملون بين أيديهم هماما الغارق بدمائه ، فأنزلوه في

حجرته ، واستدعوا امرأة عجوزا في القرية تعمل في التطبيب من تركيب الأعشاب وغيرها ، ولما أفاق من إغمائه ، سأل حمدان عن القصة ، فذكروا له انّ رجلا رماه بسهم غادر في الغابة ، وقد طاردوه في أول الأمر ، ثم اختفى رغم بحثهم الشديد عنه ، فقد كان يركب جوادا .

فصاح حمدان معقبا : كمين إذن وضربة غدر ؟! وقال بدون تردد : الفاعل واحد من ثلاثة .. فريد .. حديد ..منذر .

فقال أحد الشباب : ماذا تقول يا عم حمدان ؟!

أجاب وهو يتهدد ويتوعد : لا شيء ؛ ولكني سأنتقم أشد الانتقام من السفلة ، ويلهم إن مات همام .

لما علمت جؤذر الجميلة بخبر همام أسرعت إلى القرية ، وعليها آثار الحزن والألم ، وقد ذرفت الدموع بحرقة ، وقد أحست أنها هي وراء هذه الضربة الغادرة ، وخشيت أنّ يكون والدها وراءها ، فازداد نحيبها عندما وصل تفكيرها إلى هذه النقطة ، وطمأنها همام على صحته وقال : أشكر مجيئك يا ابنة العم .. وأشكر لطفك مع أهل القرية .. وسوف يزول الألم بإذن الله ، فكم أنت طيبة ورائعة يا ابنة العم ! فكل أهل القرية يثنون عليك ويحبونك ..أرأيت كيف ابتسمت لك القلوب قبل الوجوه عندما نزلت من عل ؟ ..وأحسنت للضعفاء والفقراء ، فهم

يدعون لك بكل خير وجزاء .

ردت بصوت خفيض نابضا بالحزن : الشكر للجميع .. ألا تحدثنا بتفصيل ما جرى لك وما أصابك ودعك مني الآن ؟!

فقال وهو ينظر في عينيها : أتحبين أن تسمعي يا جؤذر الطيبة ؟

قالت وهي قلقة من نظرات عينيه المصوبة إليها : ولـم لا ؟!

قال وهو يعتصر ذهنه والمشاهد التي حدثت في الغابة : حسنا .. خرجنا للصيد كعادتنا مع فتيان القرية..وعند دخولنا غابة نبدأ فرادى أو مجموعات بمطاردة الأرانب والثعالب وغيرها..ونكون قريبين من بعضنا البعض بحيث نسمع أصوات بعضنا ؛ لأن الغابة تحمل المفاجآت .. فانطلق بعضنا في مطاردة ظبي ، وآخر ذئب ، فابتعدت عن رفقتي قليلا .. واقتربت من عين الماء فلمحت ثعلبا ؛ كأنه اقترب من الماء للشرب ، فمشيت نحوه بهدوء وروية ، وفجاءة ظهر أمامي من بين الأشجار رجل يقود فرسا ، وكان ملثما فحياني وحييته ، فسقط لثامه عن وجهه بعض الشيء فرفعه ، ثم أسقى فرسه ومضى في حال سبيله ، ودخل بين الأشجار ، وهذا أمر مشاهد في الغابة لا يثير الانتباه لولا اللثام الذي يخفي نفسه تحته .. وأنا كنت أيضا أتابع الثعلب الذي عاد للماء من جديد ، فانحدرت نحوه وبدأت اسدد قوسي نحوه ؛ فإذا بسهم

يخترق كتفي فصرخت صرخة مدوية فزع على أثرها صحبي ، فأشرت للفارس فلحقوه ؛ ولكنه أفلت منهم ، ولمعت في نفسي صورة لثامه ووجهه ، فلو أراه لعرفته ، وقام الرفاق بمداواودتي بما يعرفون ، وحملوني إلى هنا ، ثم قامت امرأة عجوز متطببة بعلاجي بما تيسر ، والشفاء بيد الله ، وهذه هي قصة الغدر يا ابنة الـعم .

قالت وهي تظهر الحزن العميق على وجهها وصوتها : حمدا لله على سلامتك أيها البطل ولسوف يقع الغادر يوما ما.. وأدعو الله أن يذهب عنك السقم .

وبعد حديث حول المرض والشفاء والـقدر المقدر للأحياء ، قالت جؤذر وقد لملمت شجاعتها : وهل فكرت بشأننا أيها العزيز ..فأبي ينتظر مني الجواب ؟

فتنهد همام بعمق ثم قال : أنا الآن جريح وقد أموت يا ابنة العم ؛ فإن وافقت ستـقولين الضعف والمرض أمليا عليه ذلك ، وها هم أرسلوا لي من يقتلني حتى لا أتزوجك يا جؤذر .

ردت بعزم وقوة : من أجل ذلك يجب أن نتزوج .. أنا أدرك ما يدور في خلدك من خواطر وأفكار ؛ ولكنك أنت تعلم أني اخترتك بقوة ، ورضيت بك عن الآخرين ، ووقعت من نـفسي موقعا طيبا ، فمن أجل

أمك الطيبة وأبيك ومن أجل كيد الأعداء المحيطين بنا .. عليك بالرضا .. أنا لا أريد أن أستغل ضعفك وعطفك ..أنا رضيت بك قبل حادث الغدر هذا ؛ بل هذا الحدث زاد من تصميمي على الزواج ممن خفق له القلب.

فقال بتأثر واستسلام : كما تشائين أيتها الأميرة .

وبكى البطل تأثرا ، وزغردت حليمة ، وملئت السعادة نفسها ، ولقد أنساها الموقف مصابها بابنها الوحيد والخطر المحدق به من وراء هذا الزواج ، وحلت جؤذر ضيفة في منزل عمها حمدان ، وفي الصباح غادرت القرية ومعها خادمتها لقصر أبيها ، وأعلمتهم بموافقة همام على الاقتران بها ، ومباركة والديه لهذا الزواج عن طيب خاطر ، وهما يحبانها حبا كبيرا ، وأطلعت والدها على محاولة اغتيال وصرع همام ، وشعرت جؤذر بانزعاج والدها من موافقة همام ، وخشيت هي أن يكون له يد في محاولة إبعاده عنها ولو بالقتل ، فأحست بألم شديد لهذا الشعور القاتل ، وأخذت بالتردد على القرية كل يومين مرة حتى تعافى همام ، واسترد صحته والدماء التي نزفها خلال أشهر ثلاثة ، فحضر مع والديه ، وطلبوا من فريد يد ابنته جؤذر ، فاعتذر لهم وبين لهم أنها مخطوبة من ابن صاحبه منذر ، ولم يفسخوا الخطبة بعد ، وأغلظ لهم القول ، مما حدا

بجؤذر التي كانت تسترق السمع من الغرفة المجاورة أن تدفع الباب ، وتدخل بغضب وهي تقول : ألم تقل لي إنك أخبرته برفضي؟ .. ألا تحب سعادتي يا أبي ؟ .. وداعا .

وخرجت من الغرفة مسرعة والغضب ينفخ أوداجها ، وتركت القوم في ذهول ، وبعد قليل شاهدوها تركب جوادا ، وتغادر القصر مسرعة ، ونادى عليها همام ؛ ولكنها لم تلتـفت واندفعت خارجة من باب القصر ، فأسرع همام نحو الاصطبل ، واعتلى ظهر حصان ولحق بها وهو يقول لوالديه : ارجعا للقرية سوف أبحث عنها وألحق بكما .



ولما انصرف حمدان وزوجه ، قالت أم جؤذر : ألم تستسلم لها وتوافقها على هواها ؟! ما الذي في رأسك ؟ ما الذي فعلته يا فريد ؟ أين ذهبت الآن ؟ ألا تعرف عناد ابنتك ؟

فهاج وأخذ يصيح : لا أريدها ..لا أريدها .. أنا أعطي أموالي لولد فـقير معدم .. لا يمكن.. لا يمكن .

ابتسمت أم جؤذر من شدة الغيظ وقالت : أخشى يا فريد أن يكون لك يد في محاولة مصرع الفتى ..كما تهمس ابنتنا .

فصرخ قائلا ومعترفا : نعم .. نعم أنا ومنذر استأجرنا قاتلا ..من أمهر الرماة ؛ ولكن اللعين فشل ..أهلكه الشيطان .

فقالت الزوجة وقد بلغ الوهن والدهشة منها أقصاهما : ويحك يا فريد! .. ماضيك يعود .. ألم تحدثني أن أباك طردك قديما من البيت ومن القرية لعقوقك وقسوتك ؟! .. وها أنا تطرد ابنتك اليوم .

فازداد صراخ وتأوه فريد عندما سمع كلام الزوجة الذي يذكره بالماضي ، فخر صعقا ، ففزع الخدم والجواري وعالجوه من إغمائه ، وكان يهذي ويقول : نعم ، كنت عاقا لأبي .. كنت أسرقه وكنت أخدعه أبيع بعشرة دراهم أعترف بخمسة وأخفي خمسة .. بعت بقرة في قرية وقلت إنها

فقدت ، وعرف أبي الأمر فضربني أشد الضرب ؛ ولكنني ازددت قسوة وجبروتا ، سرقت المنزل فطردني أبي ، واعتبرني خائنا ، فجئت المدينة بما سرقت من أموال ، واختلست واحتلت ، ثم ندمت وتبت بعد أن سجنت بضع سنوات ، ولما خرجت بدأت حياتي من جديد ، فاشتغلت بالتجارة والبيع والشراء ، فكثرت أموالي ، وتعرفت على أخيك ثم زوجوني منك ، وكثرت الأموال ، وأصبحت من أغنى أغنياء المدينة ، نسيت أبي وأمي وأهلي ، المال غايتي ولا أشبع منه ؛ وفجأة يظهر لي هذا الفتى ؛ ليأخذ أموالي بدون تعب وكد.. ويعيدني للقرية التي نسيتها وارتحت منها .. أيعقل هذا ؟ لا .. لا

فقالت أم جؤذر : وما فائدة المال وقد اختـفت جؤذر ؟ وستبقى حسرتها في قلبي ..أنت لا قلب لك يا فريد .. كنت تراوغ وتمكر..ستذهب أموالك للسلطان بعد موتنا إذا ماتت ابنتنا قبلنا.. أين ذهبت يا جؤذر ؟ .. أنا أحب سعادتك يا ابنتي .. فهمام شاب شجاع وشهم والـفقر ليس عيبا وهو من لحمك ودمك .. إن جؤذر تشك بإن لك يدا في جرح همام ، والله لو تتيقن من هذا لتبغضنك بغضا شديدا .

فعاد للصراخ والهياج فقال : ما أقسى كلامك أيتها المرأة ! أنت تعلمين كم أحبها ..وليس لي من الدنيا سواها ، وأنا رضيت بمنذر من أجل

سعادتها ، فهو ثري وابن ثري .. قصور وأموال ، وعمه من قادة حرس السلطان.. كيف تعيش جؤذر مع الفلاحين والمرضى مع البراغيث والقمل؟!

فقالت : هارون ثري مثل منذر ولم تختره لها ؟

قال بحدة : هارون شاب جاهل لا يحسن تدبير نفسه ، وهو فقير بالنسبة لنا ، وهو يربطنا بأقاربنا الذين أجاهد لأنساهم ، ولولا الإحسان الذي كان يقدمه لي حمدان في السجن لطردته شر طردة .

قالت الزوجة : كفاك أعذارا .. انهض من فراشك وابحث عنها .. أنا لا أستطيع الحياة بدونها أيها الرجل .

فقال : سيجدها همام سيجدها .

جاء الليل على قصر فريد ، ولم تعد جؤذر ، وقد خيم الحزن على المكان والخدم ، وارتسمت إمارات الأسف والحزن على الوجوه كلها ؛ فكأن السعادة رحلت عن القصر ؛ فكأن قمر المنزل رحل ولم يمر عليهم هذه الليلة ، وجاء همام طارقا البيت ليلا ، وفتح له البواب وهو يقول : هل وجدت سيدتي أيها السيد الكريم ؟

قال همام بحزن وأسف : أين سيدك ؟

فإذا بصوت قادم ومن خلفه أم جؤذر يقول : أين جؤذر يا همام ؟

فقال همام : ألم ترجع للبيت بعد ؟!

فقالت الأم بلوعة : همام ماذا تقول ؟! .. ألم تذهب خلفها .. ألم تجدها ؟

قال : لحقت بها ، وأدركتها في طريق المدينة فوعدتني أن تعود للبيت ، وتركتها في نصف الطريق وعدت للقرية ، وها أنا قادم منها لأرى جؤذر ألم تـعد بـعد ؟

قال فريد : لا ، لم نرها منذ خرجت .. همام ابحث عنها ، أشهد الله أني سأزوجك منها ، هي لك لا تحرمني منها يا همام .

ضحك همام قهقهة وقال بسخط : يا عماه! أنت حرمت نفسك منها .. أنت لا تشبع من المال .. تطمع أن تجمع مال العالمين ، وسوف أبحث عنها ؛ لأنها طيبة وتحب الخير .. آه يا عماه! لو رأيت الناس وهم يلهجون بالدعاء لها عندما قدمت لهم بعض الإحسان ، عندما تواضعت لهم وخاطبتهم بأدب وكلام حسن .. اذهب إلى القرية لتلمس محبة الناس لجؤذر .. مجرد حنوها عليهم في ساعة واحدة أحبوها ..سأبحث عنها ؛ لأنها تريدني أنا دون الناس ..سأبحث عنها ؛ لأن والديّ يحبانها كحبهم لي .. سأبحث عنها ؛ لأنها رضيت بي بعلا دون الآخرين وأنا على فراش الموت .. وداعا يا عماه .. إذا وجدتها سأرسل لك من يخبرك .

رجع للقرية فوجد ابنة عمه مع والديه ، فتعجب من مجيئها ، فقالت : لم

تطاوعني نفسي ان اعود للبيت فتبعتك للقرية فقيل لي إنك عدت للمدينة فانتظرت .

فقال : جميل .. سنتزوج خلال أيام ايتها الحبيبة .. نحن خلقنا لبعض !



قصص الزمردة

